

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين

كتاب: في رحاب مدرسة رمضان العلاجية

رمضان شهر الصيام وشهر القرآن

حكمة مشروعية صوم رمضان المعظم وفضائله

يخبر المولى جل وعلا أنه قد فرض الصيام على عباده المؤمنين كما فرضه على من سبقهم من أهل الملل وقد علل فرضيته ببيان فائدته الكبرى وحكمته العليا وهي أن يعد نفس الصائم لتقوى الله بترك الشهوات المباحة امتثالا لأمره تعالى واحتسابا للأجر عنده ليكون المؤمن من المتقين لله المجتنبين لمحارمه. قال تعالى في سورة البقرة (الآية/ 183): ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾.

ولعلنا نفهم من هذه الآية الكريمة سر وجود فكرة الصوم على اختلاف تطبيقاتها العملية عند كل الأديان الكبيرة في العالم: النصرانية واليهودية والبرهمية. وإنما كان هذا كآثر من آثار فرض الله الصوم على كل أمة أرسل لها رسولا. وكل أمة خلت قبلنا قد أرسل لها رسول، فوجود مثل هذه الفكرة إنما هو من بقايا دين كان الله أنزله ثم حرف ونسخ. على كل فالآية تبين أن الصيام فريضة الله في كل دين أنزله على عباده ودين الله في صيغته الأخيرة الخاتمة والناسخة قد فرض فيه الصوم بصفة نهائية وخاتمة وناسخة. ولذلك كان صوما ما شئت أن ترى من واقعته إلا رأيت، ومن سهولته إلا رأيت ومن نفعه إلا رأيت ومن آثاره الطيبة على الحياة البشرية اجتماعيا وسلوكيا وعمليا إلا رأيت... الصيام المفروض علينا استقلالا هو صيام شهر رمضان، الشهر القمري وفي ذلك معان كثيرة:

ففي شهر رمضان نزل القرآن وفيه كان بدء الدعوة الإسلامية وبدء نزول كتابها. فصيام هذا الشهر تخليد لذكرى ينبغي أن تبقى حية في نفس المسلم شعوريا وعمليا. واختيار الشهر القمري الذي له علامته الكونية الكبيرة، القمر بدأ وانتهاء يحمل في طياته عوامل الوضوح والثبات،

والاستعصاء على التحريف أو التزوير أو التدجيل، فلا تستطيع سلطة ولا جماعة أن تحرف المسلمين عنه .

وهذا الصيام الذي فرضه الله على عباده إنما هو أيام معينات بالعدد وهي أيام شهر رمضان المعظم ولم يفرض الله علينا الدهر كله تخفيفاً ورحمة بعباده ومع هذه الرحمة في الصيام فقد شرع للمريض الذي يضره الصوم والمسافر الذي يشق عليه، أن يفطرا. ويقضيا أياما بقدر الأيام التي أفطرا فيها تكملة للعدة وذلك من التيسير على العباد والرحمة بهم. ثم أخبر تعالى أن هذا الشهر الذي فرض عليهم صيامه هو شهر رمضان، شهر ابتداء نزول القرآن، الكتاب المعظم الذي أكرم الله به الأمة المحمدية فجعله دستوراً لهم، ونظاماً يتمسكون به في حياتهم، فيه النور والهدى والضياء، وهو سبيل السعادة لمن أراد أن يسلك طريقها. وقد أكد الباري صيام هذا الشهر لأنه تنزل الرحمة الإلهية على العباد وأنه تعالى لا يريد بعباده إلا اليسر والسهولة، ولذلك فقد أباح للمريض والمسافر الإفطار في أيام رمضان. قال تعالى بعد الآية السالفة: ﴿أيام معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين. فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون. شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾ (البقرة/ 184-185).

وفي السنة المطهرة ما يفسر هذه الأحكام: لقد روى ابن جرير عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فصام يوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر ثم إن الله عز وجل فرض شهر رمضان، فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ حتى بلغ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين (أو مسكين على رواية حفص) فكان من شاء صام، ومن شاء أفطر وأطعم مسكيناً. ثم إن الله عز وجل أوجب الصيام على الصحيح المقيم وأثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصوم، فأنزل الله عز وجل ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾.

الشيخ الطاهر بدوي